العنكبوت! العنكبوت! العنكبوت!

هناك أناس يعيشون على هامش الحياة فلا ترى وجوههم أبدا . ولا تعرف حتى أسماءهم الحقيقية . فهم محرومون من الحياة الأسرية : الزوجة والأطفال والاستقرار والمنزل . يقيمون في الفنادق يوما هنا ويوما هناك . أصدقاؤهم بالصدفة فهم لا يصادقون سوى عملهم .

وهم غالبا ما يحملون سلاحا . طباعهم مختلفة . فبعضهم هادئ وحذر . والبعض الآخر معروف بالعنف . ويشكو معظمهم من آلام في الأسنان والمعدة . وفي أنحاء العالم قد يكون لهم بعض الأقارب . . وربما أم . أو أب . أو أخت .

وهؤلاء تنتهي حياتهم الروتينية الغريبة في صورة تقارير لدى البوليس المحلي ، ثم الانتربول . . وهي التي تتحول إلى بطاقات ورقاء أو خضراء أو تحمل علامة حمراء .

زهـيرة الببـــاى

في أحد مكاتب الانتربول بباريس ، في عام ١٩٥٦ . اهتم رئيس قسم مكافحة النهب بدراسة ملف جديد خاص بالمنطقة الثالثة : تركيا . فقد تضاعفت السرقات من « الفرو » بحث بها رئيس الباحث « كامل » الذي يقود بنفسه حملة واسعة للقبض على عصابة خطيرة منظمة تبيع وتوزع كميات كبيرة من الفراء . ويبدو أن الشبكة تتكون من مجرمين من أصحاب السوابق من لبنان وسوريا وفرنسا . فيقومون بتوزيع الفراء الذي يتحول فيما بعد إلى هيروين . ومن تركيا يشحن رأسا إلى الولايات المتحدة .

وفي طريق خيوط عنكبوت متشعبة بعضها مسجل في ملفات لدى الانتربول . ظهرت أخيرا في القرة واحدة من أفرع هذا العنكبوت فقد بعث الانتربول برقية يطلب معلومات عاجلة عن شاب يقيم في « أرمير » في الخامسة والعشرين من عمره وكانت ملفات الانتربول قد حبكت تفاصيل عن مجموعة من المشبوهين كبار التجار وموزعي الفراء في سوريا . وهذا الشاب الذي يقيم في « أرمير » كان قد سبق أن أطلق سراحه لعدم توافر الأدلة ضده .

ولكن « القرة » امسكت بهذا الخيط . فلابد أن هذا التوزيع الشاب احدى أفرع العنكبوت الكبير وانه يجب عدم القاء القبض عليه . فالأفضل أن يبقى الخيط متصلا حتى يوصل البوليس الى العنكبوت نفسه ، والذي يمتد إلى فرنسا والولايات المتحدة وتركيا .

ويقيت اليقظة على مكتب رئيس الانتربول « بالقرة » ودعمها صورة لأحمر الذين من المهربين . واحد الخبر يتأملها بدقة حيث كان على موعد مع المهرب في اليوم التالي ولم يكن أمامه متسع من الوقت لجمع المعلومات أو عمل التحريات اللازمة عن المهرب ومساعده المهم انحصل الخبر شخصية مشبر غرق واستطاع أن يقنع المهرب الشاب بشخصيته حتى أنه هو الذي قام بتحديد الموعد ومكان اللقاء . فادعى الخبر أنه يريد شراء كمية من الفراء .

وفي انتظار رد التاجر الكبير قرر رئيس الباحث خطة محكمة أوكمينا يتمكن من خلالها من القبض على عصابة المهربين . لقد طلب الخبر ٣٠ كيلو جراما من الفراء دفعة واحدة . وهي كمية لا يمكن أن يتم تهريبها وسط الطبيعة . ولذلك تعمد الخبر أن يتسلمها من مخزنهم أو محلهم الخاص . الذي يحولون فيه الفراء إلى هيروين . وهذا ما أراده البوليس بالضبط . فهي كمية رهيبة . تساوي حوالي ١٢٠٠٠ دولار . أي ما يعادل ٦٠٠٠٠ جنيه تركي . وكان على الخبر أن يحمل المبلغ معه في مساء اليوم التالي في « أرمير » والطريق طويل وشاق . وإذا ما تم الاتفاق مع المهرب فإن عند الوقت للعودة إلى « القرة » من جديد .

هذا الخبر والقا من نفسه ومن خاصه ولكن الخاطرة ما زالت مطروحة وقائمة فقد أعطى رئيس الباحث « كامل » تعليماته بتجهيز مبلغ ٦٠٠٠٠ جنيه تركي عن طريق بعض رجاله الأمن في « اسطمبول » ، ثم الاتفاق على تفاصيل الخطة في انتظار تحديد موعد اليوم التالي . وهو موعد الخبر والمهرب وكانت الخطة كالآتي : يتوجه الخبر بمفرده وبسيارته حاملا حقيبة النقود وفي صباح ما تتبعه سيارة أخرى بها أربعة من الرجال اثنان من رجال البوليس التركي واثنان من الأخصائيين الأمريكيين . أما المجرم فلن يحدث إلا وقت تسليم البضاعة . وكانت هذه هي الخطوط العريضة للخطة لأنه لم يكن في وسع البوليس أن يتوقع ما يمكن أن يحدث وبدأ الخبر طريقه . طريق المغامرة . التي لم تكن بدايتها بداية سعيدة . فقد توقف القطار في المدة بسبب سوء الأحوال الجوية . فاضطر الخبر إلى السفر بالدرجة الأولى بالقطار المسافر إلى اسطمبول . عند الفجر وقد وصل متعبا وهو يعاني من الآم حادة بالكليتين ليلقي بنفسه في غرفة الانتظار في تاكسي .

ولم يكن أمامه وقت كاف . فتوجه على الفور إلى مكتب الثائب العام ليسلم مبلغ الـ ٦٠٠٠٠ جنيه . إذ كان لابد له من الرحيل فورا بالقطار إلى « أرمير » .

حيث كان قد تحدد الموعد في أحد المقاهي في حوالي منتصف الليل . أما التاكسيات في اسطمبول فكانت تضع حالا من القطارات . فقد عاني الخبر حتى تحول إلى ما يشبه الزكيبة الخاوية . فقد بدأ يفكر بالخروج بعد أن قضى ليلة كاملة بدون نوم . ومع ذلك أخذ يهدو من مكاتب الشق العام لبوليس اسطمبول من أجل الحصول على الـ ٦٠٠٠٠ جنيه . وكان الرجلان فلا أحد يعرف حتى اسمه أو شكله وأخذ يتيهم المسافرون في مكتب مساحته بالكاد بثلاثة أمتار في مترين . وغياة لاكتظاظهم الساعة وحتى لا يفوته القطار المتجه إلى الحدود « أرمير » وبدت عملية شدة القلق والتوتر أمام بطء الإدارة وبالفعل فقد كان في حاجة إلى عشرات من الإمضاءات ليتسلم ذلك المبلغ الذي هو كفين بالنسبة للمهربين وكانه ثروة حقيقية بالنسبة للبوليس التركي . والخبر إلى الخبر أربعة من رجال البوليس وزاملهم الخمسة بحقيبة النقود داخل تاكسي وسط إلى القطار جديد في طريقهم إلى « أرمير » .

وهذا الخبر الصغير الأمريكي والنصف تركي المجهول الاسم . ولكن كان عليه أن يكون في « أرمير » وفي نفس اليوم حيث يجتمع الجميع في قاعة من الدرجة الثالثة .

ولم يذق الخبر طعم النوم ليلتين كاملتين حتى صافت معدته من تناول السندويتشات .

بالأمد قد رفع أنه تاجر غرق يعمل لحساب عملاء أمريكيين . فقد تطلب منه هذا بعض التحول أو التغير في شكله خاصة في الزي الذي يرتديه . والساعة الذهبية التي يتحلى بها أما المكان الذي يتطوت فيه فليتم في مكان معزل في السوق المغطاة طول النهار حيث لا تنقطع الحياة ليلا أو نهارا فيبيعون ويشترون أي شيء وبداية أسعار رخيصا وقابة أوروبيب فلماذا لا يبيعون الفراء ؟ وبالذات شحنة تبلغ ٣٠ كيلو جراما دفعة واحدة .

انتظر الشاب الذي يعتبر مجرد حبل من خيوط العنكبوت أو حلقة الاتصال بين التاجر والمشتري وكان يضحيه هذه المرة قرم ضخم . وبنظرة واحدة من الخبر استطاع أن يتعرف بنفسه على التاجر الذي رأى صورته في مكاتب الانتربول باريس . وكان التاجر من فئة النوع الذي تنبع منه رائحة الخيانة وهو على بعد كيلو مترات . وكل شيء بالنسبة له كي يوقعه . العينان ضيقتان والفم غائر والعنق لا وجود له واليدان ضخمتان وصوته لا يعرف إلا الأوامر .

وبعد أن تبادل الرجلان بضع كلمات مختصرة . اتفقا على موعد اللقاء الذي تحدد في الساعة السادسة صباحا من اليوم التالي . وان يتم خلف القلعة القديمة . حيث يسلكان طريقا جبليا طويلا وكان الاتفاق . ولكن الطريق إلى الجبل ممنوع . وبعيد عن أية رقابة . ومن السهل رصد أية سيارة فيه فاستأذنهم الخبر في أن يرافقه حارس يمر إلى جانبه . خاصة لأنه يحمل الـ ٦٠٠٠٠ جنيه . ورافق المهربون . ولكن الخاطرة ظلت قائمة

إذ كيف يتخلص من الحراسة ؟ وكيف يقنع بيده على ٣٠ كيلو جراما من الفراء دون أن يختبر منها واحدا ؟ وكيف يخرج سليما بعد أن يكتشف مكان المخزن أو المعمل السري ؟

وفي الساعة السادسة صباحا . وخلف القلعة القديمة . يوم ٢١ نوفمبر عام ١٩٥٥ . كان الجو رماديا مليئا بالضباب . التقى الخبر وحارسه بالتاجر ومساعده اللذين نظرا للمندوبين بريبة وحذر . وكما يحدث دائما في مثل هذه العمليات . حيث يسود الشك .

وقد ساورهم القلق من هذا الرفاق الجديد .

ولكن الخبر أكد أن الحارس محل ثقته وللتأكيد طلب منه أن يريهم النقود . ففتح الحارس الحقيبة وكان عدد الحقيبة سريعة بعد أن تحت عينا التاجر أحد الأوراق المالية المكدسة .

وكما كان متوقعا لم يعد للشك مكان . وركب الرجال الأربعة داخل سيارة الفير وهى السيارة الخضراء التى خرجت توا من جراج بوليس « أرمير » . وهى مخصراء بالذات حتى يسهل رصدها وسط الحيال . كما أن هذا اللون الأخضر يبعث على الأمل والتفاؤل وخيلة الطريق حيث كامل . وبعد أن تركوا الطريق الرئيسى المعهد . انطلقت السيارة فى طريق جبلى وتحركت فيه بصعوبة فلم تزد سرعتها على عشرين كيلو مترا فى الساعة .

ومن بعيد بدأ الخليج يختفى . وصعد الطريق وسط قرى جاهلة وصخور هلامية الشكل ومدافع أثرية ليدو وسط التلالات الطينية . ومرت ساعات لم يتبح خلالها المزوج فيه بكلمة واحدة الا لرشد السائق أو الخارس إلى الطريق .

فأخرجت السيارة أرضا جيرية ناصعة البياض . تناثرت وسطها بعض المنازل الطينية من الطوب الجاف .

وجاء المساء . والطريق لا ينتهى وسط الصمت الكامل والخفاء العظيم حتى القربت الساعة من منتصف الليل . وعندها أعطى الناجر أوامره بالتوقف . وسط هذا الظلام الحالك الذى كان يلف الجميع .

اعتمد رجلا البوليس على تلك الأسلحة الخفيفة التى احتفظا بها تحت ملابسهما . وطلب الفير من زميله أن يضع السيارة فى الاتجاه المعاكس حتى تسهل عملية الشحن . لكنه فى الحقيقة وضعها فى هذا الاتجاه حتى تكون فى حالة الاستعداد عند أية ضرورة قصوى . ولم يشك الناجر فى الأمر . وترك بنفسه لوجه السائق .

وتحت ضوء كشافات السيارة ظهر ميس لدغم مدرسة مهجورة . استخدمت مخزنا سريا للمهربين . ودخل الخارس داخل السيارة ولم يترك عجلة القيادة . أما الفير فاتجه مع الناجرين ناحية الميس . وعلى عتبة الباب توقف المزوج . وبإشارة دهب زميله ليحضر البضاعة . فاختفى الوسيط داخل الميس . ومرت دقائق لم تفارق الابتسامة شفتى الناجر .

وفهم الفير السبب . فقد لمح وسط الظلام أشباحا تتحرك حولهم وعلى بعد مئات الأمتار لمح نور أحمر لزيد عليه نور آخر من بعيد وسط الخيل لقد كان من الواضح أن المزوج يقع تحت حراسة مشددة من المهربين . ثم خرج المساعد رضا . وعندها اختفت دائرة الرجال المسلحين تحقيق حول السيارة وظهر واحد منهم ذو لحية وسلح يدفع وشاش لجالب بالمبلغ .

فلل الفير حتى هذه اللحظة محتفظ بهدوئه . وبنظرة واحدة وزن الموقف كله . اما الناجر أو رئيس العصابة فهو على عتبة الميس اى على بعد مائة متر تقريبا . واحد الوسيط مكانه بجانب الفير وعلى المقعد الخلفى داخل السيارة حيث يباشر معه عملية فحص المزوج . فقال الفير فجأة . وبطريقة لا تبعث على الشك . إنه يريد تسليم الطرد لرئيس العصابة نفسه . ولذلك أراد أن يتراجع بالسيارة إلى الوراء .

وجلس الفير بجانب الوسيط على المقعد الخلفى وفهم الخارس الخطة فطلب أن يتحرك مثل الفرق . ولم يشك احد فى الأمر . خاصة أن الوسيط مازال داخل السيارة . وفى لمح البصر انسحب الخارس من الموقف متدفعا بسيارته إلى الأمام وبسرعة هائلة .

فحاول الرجلان على الفور قطع طريق السيارة بينما احدث طلقات الرصاص تدوى فى المكان . وتعالت صرخات رئيس العصابة وسط الظلام . وصرخ الوسيط من شدة الخبط فأمسكه الفير بكلتا يديه . أما الخارس فاندفع فى طريقه متحديا بسيارته . واخذ الفير يطلق الرصاص فى الهواء حتى يفقئ اسطوانات السيارة بالرصاص والمدافع الرشاشة . وبسرعة كبيرا دائرة على مسافة معينة حول السيارة .

واحسن الخارس على عجلة القيادة ولم يقو على الحراك . فمازال يحتفظ بمبلغ ٦٠,٠٠٠ جنيه . واخذ الفير مكانه على المقعد الخلفى وباشر بدوره عملية فحص المزوج بنفسه وكان رد الفعل عنيفا أخيرا . فقد أوما رأسه عن رضا وتنهد بارتياح . وهو يحمل حقيبة كبيرة . اما الناجر فقد قال وهو مازال يبتسم . أريد النقود الآن .

وكان من حق الفير فحص البضاعة أولا فطلب منهم التوجه للسيارة حيث النقود وأخرج الفير بقشعريرة تجتاح رقبته وسالبة وبنيه فى طريقه للسيارة . وخلفه الوسيط مع فى الظلام انتباها تتحرك التى عشر رجلا مسلحة والبعة أيضا .

حقيقة ان بوليس « أرمير » لا يملك عددا كافيا من السيارات . ولكن هذا لا يعنى أن يستقل رئيس الباحث نفس السيارة الخضراء التى استخدمت فى العملية الأولى لقد قادها بنفسه على نفس الطريق للمخزن . وعلى بعد عشرة كيلو مترات تقريبا اضطر للتوقف أمام تهديدات البوليس المحلى . الذى قبل بلاغا من تاجر المزوقين يبلغهم فيه عن هروب اثنين من المهربين الغرب داخل سيارة خضراء وأنهما مزودان بشحنة هائلة من المزوقين . فتلقى البوليس على الفور على رئيس الباحث . على أنه التاجر الغرى . وبعد تفتيش كل وبعد عملية ورقية لفحص الأوراق . وأتمام الإجراءات الرسمية التى استغرقت اليوم كله . كان من السهل أن يتضح أن البوليس متواطئ مع المهربين وانه يعمل لصالحهم .

ولولا أن التقى رئيس الباحث بالصدفة بأحد القاربه الذى تعرف عليه لما تمكن من الاستمرار فى مهمته . وهى مهمة كان لابد أن تحصل فيها على ٦٤ كيلو جراما من المزوقين و ٦٨٠ كيلو جراما من الأفيون . وكل المواد الكيماوية التى تستخدم فى تحويل المزوقين إلى هيروين وهذه الكمية كانت فى طريقها إلى فرنسا والولايات المتحدة وسويسرا وليبان .

إنها شبكة عملاقة أو أهم شبكات فى المنطقة .

المهم أنه قام بشن هجوم واسع النطاق على وكر المهربين التى حلالا القبض على سبعة منهم بينما سقط قتيل واحد وهو ابن زعيم العصابة . وكان شابا نصف مخمور فى الثامنة عشرة من عمره وكان يتعاطى المخدرات ومسلحا تدفع رشاش وكان قد استمر صامدا فى المعركة لمدة ساعتين كاملتين ليقع فى النهاية تحت رصاص البوليس . واخيرا تخلص الفير من ملابس التاجر الغرى وكشف عن جسم شعره الأشقر ليعود ثانية رجل البوليس الأمريكى . ولكن المهمة لا تزال .

ولكن المشكلة ظلت باقية . فكيف يذهب الفير ليقدم تقريره كان عليه ركوب القطار ثم سفينة حتى أمستردام . اى ٢٥ ساعة سفر احيطت كلها بسباق آخر مع التاكسيات المجنونة داخل شوارع المدينة . ليصطدم ثانية بالروتين الميت أو بمخلوقات من نوع آخر . ■

تصميم محمد ابراهيم